

أضواء البيان

@ 510 @ الصَّالِحَاتِ فَأُوْءَلٰٓئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ { وقوله تعالى : { وَلَلَّاٰ خَيْرَةٌ اَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَاَكْبَرُ تَفْضِيْلًا } والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة . .
وقال بعض العلماء : تقديره خافضة أقواماً كانوا مرتفعين في الدنيا رافعة أقواماً كانوا منخفضين في الدنيا ، وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله تعالى ، كقوله تعالى : { إِنَّ السَّٰدِّينَ أَجْرَمُوْا كَانُوْا مِنَ السَّٰدِّينَ ءَامَنُوْا يَضْحَكُوْنَ وَإِذَا مَرُّوْا بِهِمْ يَتَغَامَزُوْنَ } إلى قوله { فَالْيَوْمَ السَّٰدِّينَ ءَامَنُوْا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُوْنَ عَلٰى الْاٰسِرٰٓئِلِ يَنْظُرُوْنَ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وقال بعض العلماء : تقديره ، خافضة بعض الأجرام التي كانت مرتفعة كالنجوم التي تسقط وتتناثر يوم القيامة ، وذلك خفض لها بعد أن كانت مرتفعة ، كما قال تعالى : { وَإِذَا الْكَوْكَبِٰتُ انْتَثَرَتْ } وقال تعالى : { وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ } . .
رافعة : أي رافعة بعض الأجرام التي كانت منخفضة كالجبال التي ترفع من أماكنها وتسير بين السماء والأرض كما قال تعالى : { وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْاَرْضَ رُضًا بِارِزَةً } ، فقوله : { وَتَرَى الْاَرْضَ رُضًا بِارِزَةً } ، لأنها لم يبق على ظهرها شيء من الجبال ، وقال تعالى : { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا السَّحَابِ } . .

وقد قدمنا أن التحقيق الذي دل عليه القرآن ، أن ذلك يوم القيامة ، وأنها تسير بين السماء والأرض كسير السحاب الذي هو المزن . .

وقد صرح بأن الجبال تحمل هي والأرض أيضاً يوم القيامة . وذلك في قوله تعالى : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَّاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْاَرْضُ وَالْجِبَالُ } . .

وعلى هذا القول ، فالمراد تعظيم شأن يوم القيامة ، وأنه يختل فيه نظام العالم ، وعلى القولين الأولين ، فالمراد الترغيب والترهيب ، ليخاف الناس في الدنيا من أسباب الخفض في الآخرة فيطيعوا الله ويرغبوا في أسباب الرفع فيطيعوه أيضاً ، وقد قدمنا مراراً أن الصواب في مثل هذا حمل الآية على شمولها للجميع . قوله تعالى : { إِذَا رُجَّتِ الْاَرْضُ رُضًا رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا } . .

